



المديح النبوي

تعبيرات سامية عن عواطف دينية مفعمة بالصدق والإخلاص

يُعرف المديح النبوي بأنه ذلك الشعر الذي ينصب على مدح النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك من خلال ذكر صفاته الخلقية والخلقية وإظهار الشوق إلى رؤيته وزيارته قبره والأماكن المقدسة التي ترتبط بحياته صلى الله عليه وسلم، وأيضا من خلال الحديث عن معجزاته وذكر سيرته العطرة. والمديح النبوي لون من التعبير عن العواطف الدينية، وباب من الأدب الرفيع؛ لأنها لا تصدر إلا عن قلوب مفعمة بالصدق والإخلاص. كما عرفت المدائح النبوية بأنها فن من فنون الشعر التي أذاعها التصوف.

وعادة ما يشير الشعراء في تناول هذا النوع من الشعر إلى تقصيرهم في تعداد محاسنه صلى الله عليه وسلم؛ لأنهم لن يبلغوا بشعرهم القدرة على وصفها، كما يتبعون شفاعته النبي صلى الله عليه وسلم بقصائدهم التي تعبّر عن حُب عميق وشوق إليه عليه الصلاة والسلام، على حد قول أمير الشعراء:

لي في مديحك يا رسول عرائس
تيمن فيك وشاقهن جلاء
هن الحسان فإن قيلت تكرما
فمهورهن شفاعته حسناء

ولكن هذا المديح النبوي لم يتعش ويزدهر ويترك بصماته إلا مع الشعراء المتأخرين، وخاصة مع الشاعر محمد ابن سعيد البوصيري (608هـ - 696هـ) الذي عارضه كثير من الشعراء الذين عاصروه أو أتوا بعده. ولا ننسى في هذا المضمار الشعراء المغاربة والأندلسيين

الذين كان لهم باع كبير في المديح النبوي.

الشاعر المادح في هذا النوع من الشعر الديني يشير إلى تقصيره في أداء واجباته الدينية والدينية، ويذكر عيوبه وزلاته المشينة وكثرة ذنوبه في الدنيا، مناجيا الله بصدق وخوف، مستعظفا إياه، طالبا منه التوبة والمغفرة. ويتنقل بعد ذلك إلى ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم، طامعا في شفاعته يوم القيامة.

وشعر المديح النبوي هو امتداد لشعر المدح الذي يشكل أكثر الأغراض الشعرية ذبوعا وانتشارا في خريطة الشعر العربي عبر عصوره المتلاحقة، وقد ظل مرتبطا بهذا الأصل، ولكنه وجه

اهتمام الشعراء إلى وجهه جديدة بحيث يكون الممدوح فيها هو شخص النبي صلى الله عليه وسلم، وتكون سيرته ودعوته هي مدار المدح والثناء.

ربما يختلف شعر المديح النبوي عن المدائح الأخرى المعنوية بالأحياء وذكر محاسنهم، فالمدائح النبوية في الغالب الأعم قيلت بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم.

وعلى الرغم من تعارف الأدباء على أن كل شعر يقال بعد الوفاة يعد رثاء، فإنه إذا قيل في شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم يسمي مديحا؛ وكانهم لاحظوا أن الرسول صلى الله عليه وسلم مؤصول الحياة، وأنهم يخاطبونه كما يخاطبون الأحياء.

وهكذا استطاعت المدائح النبوية أن تستقل بنفسها، فتصبح فنا جديدا ينضاف إلى الأغراض التي حددتها مصادر النقد الأدبي؛ لأنها أصبحت ظاهرة فنية لها خصوصيتها التي تميزها عن باقي الفنون الأخرى.

المدائح النبوية أصبحت أحد الفنون المضافة إلى الأغراض التي حددتها مصادر النقد الأدبي

ويستوحى شعر المديح النبوي مادته الإبداعية ورؤيته الإسلامية من القرآن الكريم أولا فالسنة النبوية الشريفة ثانيا. كما أن السيرة النبوية العطرة تعد معينا لا ينضب يستلهم منه الشعراء أشعارهم ومدائحهم، خاصة أنها تتمثل في مجموعة من الوثائق والمصنفات التي كتبت حول سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم.